

تفسير ابن كثير

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ

يقول تبارك وتعالى ردا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله ، المخالف لملة إبراهيم الخليل ، إمام الحنفاء ، فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى ، فلم يدع معه غيره ، ولا أشرك به طرفة عين ، وتبرأ من كل معبود سواه ، وخالف في ذلك سائر قومه ، حتى تبرأ من أبيه ، فقال : (يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) [الأنعام : 78 ، 79] ، وقال تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين) [الزخرف : 26 ، 27] ، وقال تعالى : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) [التوبة : 114] وقال تعالى : (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين) [النحل : 120 ،

[122] ، ولهذا وأمثاله قال تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) أي : عن طريقته
ومنهجته . فيخالفها ويرغب عنها (إلا من سفه نفسه) أي : ظلم نفسه بسفهه وسوء تديره
بتركه الحق إلى الضلال ، حيث خالف طريق من اصطفى في الدنيا للهداية والرشاد ، من
حادثة سنه إلى أن اتخذ الله خليلا وهو في الآخرة من الصالحين السعداء فترك طريقه
هذا ومسلكه وملته واتبع طرق الضلالة والغي ، فأى سفه أعظم من هذا ؟ أم أي ظلم
أكبر من هذا ؟ كما قال تعالى : (إن الشرك لظلم عظيم) وقال أبو العالية وقتادة : نزلت
هذه الآية في اليهود ; أحدثوا طريقا ليست من عند الله وخالفوا ملة إبراهيم فيما أخذوه ،
ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى : (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) [آل عمران : 67 ، 68] .